

خطبة الجمعة - الخطبة ١١١١ : خ ١ - النهي عن الخلوة و الاختلاط ٢ ، خ ٢ - البر بالوالدين و الوفاء لهما من الحب.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٩-٠٥-٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى :

الحمد لله نعمده، ونستعين به، ونسترشده، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جدد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر أو سمعت أذن بخبر، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، وآل بيته الطيبين الطاهرين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين.

القرآن والسنة أساس منهج البحث في الإسلام :

أيها الأخوة الكرام، لازلنا في موضوع الاختلاط، ولكن لا بدّ من نقاط بين يدي هذا الموضوع. من هذه النقاط: أن منهج البحث في الإسلام أساسه القرآن والسنة، القرآن كلام خالق الأكوان، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وما صحّ من سنة النبي عليه الصلاة والسلام. مع هذين النصين لا مجال لإعمال العقل:

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمِئَةٍ إِذَا قَضَى

اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ

مِنْ أَمْرِهِمْ)

(سورة الأحزاب: الآية ٣٦)

ما جاء في صريح القرآن، وما جاء في

صحيح السنة، هذا حق مطلق من عند

الله، ومن عند المعصوم الذي قال الله

عنه:

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤))

(سورة النجم)



وإنه لقرآن كريم

أما أي اجتهاد آخر خاضع للبحث والدرس، ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو على العين والرأس، وما جاءنا عن غيره فهم رجال ونحن رجال، كل إنسان يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب القبة الخضراء، ولأن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم.

((ابن عمر، دينك، دينك، إنه لحمك ودمك، خذا عن الذين استقاموا، ولا تأخذ عن الذين مالوا))

[العلل لابن أبي حاتم]

شروع الاختلاط غير المنضبط بين المسلمين :

لأن الاختلاط غير المنضبط شائع شيوعاً رهيباً في المسلمين، أقول لكم بصراحة: معظم المسلمين لا يرتكبون الكبائر، لا يقتلون، ولا يشربون الخمر، ولا يزنون، ولكن الذي حجبهم عن ربهم ما يحتقرون من أعمالهم.

أيها الأخوة الكرام، ما يحتقرون من أعمالهم تجتمع عليهم حتى تحجبهم عن الله، من هذه الأعمال التي لا يرون فيها بأساً موضوع الاختلاط.

صدقوا ولا أبالغ بحكم عملي في الدعوة من خمسة وثلاثين عاماً عندي من القصص المفجعة في أسر المسلمين ما لا يصدق بسبب تساهل في أحكام الاختلاط.

لذلك أنا حينما أتى بأية، أو بحديث صحيح وقد شرح من قبل الصحابة الكرام، هذا شيء قطعي الصحة، عقلك تستخدمه في اجتهاد من دون دليل، من دون نص.

اختلاط النساء بمحارمهم من الرجال يجب أن يكون ضمن الضوابط الشرعية :

أيها الأخوة، الحقيقة الأولى، اختلاط النساء بمحارمهم من الرجال ضمن الضوابط الشرعية، الضابط الشرعي يعني أمك، وأختك، وابنتك، وعمتك، وخالتك، الضابط الشرعي ثياب الخدمة، أي ثياب سابغة تحت الركبة، ولأعلى الصدر، ومنتصف اليد كما وصفها الفقهاء، وثياب ثخينة لا تشف وليست ضيقة، لا ثخينة لا شفافة ولا ضيقة، تلو إلى الرقبة، وتنزل تحت الركبة، وتنزل إلى منتصف اليد، هذه ثياب الخدمة التي وصفها العلماء من أجل المحارم، أي أختك ترتدي ثوب نوم شفاف هذا ممنوع، أو ابنك يخرج بالبيت بالثياب الداخلية هذا ممنوع، هذه ضوابط الشرع، والضوابط الثانية في التصرفات.

اختلاط النساء بمحارمهم من الرجال ضمن الضوابط الشرعية في اللباس أي ثياب الخدمة، وفي السلوك هذا لا إشكال في جوازه أبداً، لا يوجد أية مشكلة، زوجتك لا يوجد أي قيد، أما أمك، أختك، ابنتك، خالتك، عمتك، بنت أخيك، بنت أختك، هؤلاء المحارم وفق الضوابط الشرعية، النبي عليه الصلاة والسلام وجه أصحابه كي يستأذنوا على أمهاتهم، تعجبوا كيف نستأذن على أمهاتنا؟ قال: أتحب أن تراها عريانة؟

أي غير مسموح للأب والابن أن يدخل على غرفة بناته من دون استئذان، هذه الضوابط أو أحكام العورة في البيت.

من تجاوز الضوابط الشرعية وقع فيما لا يحمد عقباه :

الآن: اختلاط النساء بالأجانب لغرض الفساد لا إشكال في تحريمه، إذاً لا يوجد خلاف في البند الأول ولا في الثاني.

الأول أن تعيش مع محارمك، لا يوجد إشكال لكن وفق الضوابط الشرعية في الثياب وفي السلوك، وأن تختلط المرأة مع رجال أجنب بقصد إغرائهم ليس هناك خلاف في حرمة ذلك عند كل الفرقاء، أما أين الإشكال؟ اختلاط النساء بالأجانب في دور العلم، في الحوانيت، في المكاتب، في المستشفيات، في الحفلات وفيما سوى ذلك، أي بالمناسبات الاجتماعية.

أيها الأخوة، الله عز وجل جيل الرجال على الميل إلى النساء، هذا مركز في أي رجل، إلا إذا كان عنده حالة مرضية أو وضع غير طبيعي، أما أي رجل يميل إلى أية امرأة، وجبل النساء على الميل إلى الرجال، لكن حينما ينقلب هذا الميل مع ضعف الإيمان إلى سلوك كان الفساد.

الحقيقة التي قالها الشاعر: نظرة فابتسامة فموعد فلقاء. ولو كان هناك دراسة دقيقة لوجدنا أن تسعين بالمئة من حالات الزنا لم تكن مقصودة من الطرفين، لكن حينما تجاوزوا الضوابط الشرعية وقعوا فيما لا يحمد عقباه.

استنباطات عدة من آية واحدة تؤكد عدم الاختلاط :

أيها الأخوة، الآن الآيات قال تعالى:

(وَكَمَا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْتَفُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي لَنَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣))

(سورة القصص)

أول استنباط: (وَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ). أي وجد بعيداً عنهم، هذا أول استنباط.

والثاني: (تَذُودَانِ). تزودان، تمنعان غنمهما من أن يذهبن إلى غنم القوم.

والاستنباط الثالث: (لَنَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءُ). يذهب الرجال.

والسبب الرابع، أحد الأسباب الضرورية لخروجنا: (وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ).

أربع استنباطات من آية واحدة تؤكد عدم الاختلاط.

من علامات آخر الزمان رفع الحياء من وجوه النساء :

أيها الأخوة، آية ثانية:

(فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ (٢٥))

(سورة القصص)

قال علماء التفسير: إما أنها تمشي على استحياء أي مشية في غاية الأدب، أو أنها قالت على استحياء:

(فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا (٢٥))

(سورة القصص)

أي نطقت بجملة واحدة، لا يوجد أية تفاصيل، لو أنها قالت: إن أبي يدعوك، يقول لها: خير ما المناسبة؟ إجابة واحدة، كلام مختصر مفيد:

(إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا (٢٥))

(سورة القصص)

أيها الأخوة الكرام، حدثنا أستاذ في الجامعة قال: المرأة أجمل ما فيها أنوثتها فإذا اختلطت بالرجال فقدت أنوثتها، وأصبحت مسترجلة، وحينما تنافس الرجل في اختصاصه تفقد شيئين؛ تفقد المنافسة وتفقد أنوثتها، و من علامات آخر الزمان أن الحياء يرفع من وجوه النساء، وأن النخوة تذهب من رؤوس الرجال، وأن الرحمة تنزع من قلوب الأمراء.

الحجاب يمنع الاختلاط :

دليل آخر :

(وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ نَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ (٥٣))

(سورة الأحزاب)

الحجاب يمنع الاختلاط، مثلاً: اتصال هاتفي هذا من وراء حجاب، واقفة وراء الباب يا أختي الموضوع الفلاني كذا وكذا، وكذا، هذا من وراء حجاب، حدثها والباب مغلق تسمعه ويسمعه، هذا معنى من وراء حجاب، السيدة مريم:

(فَأَتَّخَذْتُ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا (١٧))

(سورة مريم)

أي ساتراً، أيها الأخوة، قال تعالى:

(وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣))

(سورة يوسف)

هذه الآية تنتمي إلى الخطبة السابقة، لما قلت به أعلنت عن رغبتها أن يلتقي معها:

(وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣))

(سورة يوسف)

حفظ الله عز وجل لمن ترك شهوته خوفاً منه و طلباً لطاعته :



من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه

أيها الأخوة، أنا أخطب الشباب، شعاركم أيها الشباب هذا النبي الكريم سيدنا يوسف، الكريم ابن الكريم ابن الكريم، الذي كان قدوة للشباب المؤمن المتألق، الذي وقف هذا الموقف الذي يتمناه تسعة أعشار شباب الدنيا، قال: معاذ الله، لأنه قال: معاذ الله، كان نبياً عظيماً، أما سيدنا يوسف مفتقر إلى الله:

(وَإِنَّا تَصْرِفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣))

(سورة يوسف)

فربنا عز وجل قال:

(فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤))

(سورة يوسف)

فحينما يعلم الله من هذا الشاب رغبة في التعفف، ورغبة في طاعة الله، وخوفاً من معصيته، الله عز وجل يتولاه بحفظه، يبعدهم عنه ويبعده عنهم، أو ينزع الله محبة هؤلاء النسوة المنقلبات من قلبه. لذلك كلمة رائعة جداً: ما كان الله ليعذب قلباً بشهوة تركها صاحبها في سبيل الله.

على المرأة ألا تصدر صوتاً في مشيتها و هذا توجيه خاص بالنساء :

الآن توجيه خاص بالنساء:

(وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ (٣١))

(سورة يوسف)

فالمرأة التي تمشي وراءك ينبغي ألا تصدر صوتاً في مشيتها، لئلا تنتبه إليها، فكيف إذا جلست معها في غرفة واحدة؟! إذا كان وهي وراءك لا تراها ينبغي ألا تضرب الأرض بأرجلها كي تلفت نظرك إليها، فكيف إذا كانت متعطرة؟ فكيف إذا كانت متقلبة؟ فكيف إن أبرزت كل مفاتها؟ فكيف إذا جلست معك في غرفة واحدة؟

الأشياء البعيدة جداً عن الاختلاط هناك نهي قرآني عنها فكيف بالاختلاط نفسه ؟

الله عز وجل يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ :

الله عز وجل قال:

(يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي

الصُّدُورُ) (١٩)

(سورة غافر)

والله آية أيها الأخوة تقصم الظهر، إنسان في بيت إذا مرت امرأة خطأ فإذا شعر أنه مراقب غضّ بصره، وارتفع عند أهل البيت، فإن لم يكن مراقباً ملاً عينيه من محاسن هذه المرأة، كأن هذه



إن الله لا يخفي عليه شيء

العين خانت:

(يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) (١٩)

(سورة غافر)

إذا شعر أنه مراقب يبدو مؤمناً، كريماً، متواضعاً، غاضاً لبصره، حيباً، فإذا أتاحت له الفرصة ملاً عينيه من محاسن امرأة أجنبية لا تحل له، والله عز وجل ما منع المرأة أن تخرج من البيت ولكن الأصل في المرأة أن تبقى في البيت:

(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) (٣٣)

(سورة الأحزاب)

أعظم عمل تقوم به المرأة على الإطلاق أن تتفرغ لخدمة زوجها و أولادها :

حينما تعمل وهي منضبطة لا مانع، حينما تعمل وهي محتشمة المرأة حينما تعمل مضطرة لا مانع، ولا تختلط لا مانع، أما حينما تكون مكثفية، وفي درجة عالية من الغنى، لا مانع، حينما تعمل الآخرون، وأن يشهقوا والعمل لا يتناسب مع أنوثتها، وتعمل من أجل أن تخرج كل يوم، وأن يراها فحينما تعلم المرأة أنها تخرج من أجل أن لرؤيتها، هذا شعور عند النساء مسعد، إنها تلفت النظر، تشد الأنظار إليها، هذه مشكلة كبيرة جداً تعرض مفاتنها على الناس، من أجل أن العمل وفق العمل في الإسلام ليس محرماً، العمل لأسباب ضرورية، لأسباب كسب العيش،

الفتنة معروفة حينما تفتن الضوابط الشرعية، وفق الضوابط التي تنفي الاختلاط، تنفي الفتنة -
قال تعالى بالرجال أو يفتن بها الرجال - فصار في مشكلة،

(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى (٣٣))

(سورة الأحزاب)

أيها الأخوة، الطيار لو رأى هذه الغرفة سجنًا له، كيف سيعيش في هذه الغرفة؟ لو عدها سجنًا لخرج وجلس مع الركاب، لكن هنا قيادة الطائرة، هناك أربعمئة راكب سلامتهم بسبب قيادته للطائرة، والمرأة والله لا أبالغ حينما تتفرغ لخدمة زوجها وأولادها، وتنجب أولادًا صالحين، مواطنين صالحين، مثقفين، أخلاقيين، عندهم وعي وانضباط، هذا أعظم عمل تقوم به المرأة على الإطلاق، هذه المرأة التي تجلس في البيت تربي أولادها هي امرأة عظيمة جدًا، وحينما تعمل وفق الضوابط الشرعية، لا شيء في ذلك، أما حينما تخرج كي تفتن الرجال أو كي تفتن هي بالرجال فهذا فساد عريض، هو الذي حرمه الشرع العظيم.

مهمة الشيطان الأولى التفريق بين الأزواج :

أيها الأخوة، لو انتقلنا إلى السنة، فإذا اجتمع الشيخان فكتبهما أصح كتابين بعد القرآن الكريم:

((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةٌ هِيَ أَضْرُّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ))

[مسلم عن أسامة بن زيد]

والله الذي لا إله إلا هو ما من أسبوع إلا وأتلقى اتصالات من امرأة مؤمنة، طاهرة، عفيفة، أم لأولادها، انصرف الزوج عن بيته، وأهمل أولاده، وتعلق بامرأة متقلبة في عمله، والاختلاط هو السبب.

والله معي مئات القصص، والله مأس يتفطر القلب لها، زوجة رائعة وأم وأولاد كالورود في البيت، ترك البيت وهجره، وأهمل زوجته وأولاده، ليلتقي خلصة وغياباً عن أعين المراقبين مع امرأة هي دون زوجته.

بالمناسبة أيها الأخوة، اعتقدوا يقيناً أن مهمة الشيطان الأولى التفريق بين الأزواج، يكرهها بزوجها، ويكرهه بزوجته:

((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةٌ هِيَ أَضْرُّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ))

[مسلم عن أسامة بن زيد]



وهناك حديث آخر:

((فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ

فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ))

[مسلم وعن أبي سعيد الخدري]

بربكم في تاريخ البشرية لو جمعت كل

الفضائح التي أدرجت في الصحافة

بتاريخ البشرية هل هناك من فضيحة إلا

أن تكون متعلقة بالجنس أو متعلقة

بالمال ؟

((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةٌ هِيَ أَضْرُّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ))

[مسلم عن أسامة بن زيد]

حديث آخر:

((فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ))

[مسلم وعن أبي سعيد الخدري]

من اضطرت من النساء إلى الخروج فلتخرج من دون زينة إطلاقاً :

قال النبي عليه الصلاة والسلام: إن كان لا بد لهن من الخروج فليخرجن من دون زينة إطلاقاً.

بين النقاب والحجاب هناك قضية تحتاج إلى تفصيل، لكن لو كان حجاب بلا نقاب يجب ألا يكون

هناك زينة إطلاقاً على الوجه، فلا يتعطرن، فإن فعلن فهن كذا وكذا، وترفع النبي عن ذكر الكلمة

الصريحة.

((خَيْرُ صُفُوفِ الرَّجَالِ أَوْلَاهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا))

[مسلم عن أبي هريرة]

لأن النساء كن في الطرف الآخر، فإذا شخص اقترب من الصفوف المتخلفة أي عنده رغبة أن

يكون قريباً من النساء:

((خَيْرُ صُفُوفِ الرَّجَالِ أَوْلَاهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرُّهَا أَوْلَاهَا))

[مسلم عن أبي هريرة]

و النبي عليه الصلاة والسلام خصص في حياته باباً للنساء، في الحرم النبوي الآن باب النساء،

وقال: لا يلج من هذا الباب من الرجال أحد، ونهى أن يلج أو أن يخرج من هذا الباب أحد من

الرجال.

وقال في حديث آخر:

((لا تدخلوا المسجد من باب النساء))

[البخاري عن عمر]

وكانت الصحابييات الكريمات الفاضلات إذا سلمن من المكتوبة قمن، وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صلى من الرجال حتى يخرجن.

مثلاً: درس فيه نساء ورجال و لم يكن هناك قاعات مستقلة، لو أن الجامع نصفه نساء ونصفه رجال، انتهى الدرس، وانتهت الصلاة، يبقى الرجال جالسين حتى تخرج النساء جميعاً، أليس هذا توجيهاً واضحاً لعدم الاختلاط؟

انتقال النبي من مكان إلى آخر لوعظ النساء دليل عدم الاختلاط بين الرجال و النساء :

مرة رأى النبي عليه الصلاة والسلام وهو خارج من المسجد الرجال يختلطون مع النساء عفواً، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: ليس لكن أن تتحقق بالطريق (أي ليس لكن أن تسرن وسطها) ولكن عليكن بحافات الطريق.



النساء يملأن الطريق بأكمله وهناك رجال، الرجل مضطر أن يمشي بينهم،

فالنبي وجه النساء إلى أن يكنّ في أطراف الطريق والرجال في الوسط، وهناك استنباطات كثيرة أيضاً.

عبد الرحمن بن عباس قال: سمعت ابن عباس قيل له: أشهدت العيد مع النبي عليه الصلاة والسلام؟ فصلى ثم خطب - صلى بالرجال ثم خطب، ثم أتى النساء، و معنى هذا أن النساء في مكان آخر - ثم أتى النساء فوعظهن، وذكرهن وأمرهن بالصدقة.

وفي حديث آخر:

((أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ وَمَعَهُ بِلَالٌ فُظِنَ أَنَّهُ لَمْ يُسْمِعْ فُوعَظْهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ

بِالصَّدَقَةِ))

[متفق عليه عن ابن عباس]

أي انتقل من مكان إلى مكان:

((قَالَتُ النَّسَاءُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا عَلَيْكَ الرَّجَالُ فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ
فُوَعْدَهُنَّ))

[متفق عليه عن أبي سعيد الخدري]

معنى ذلك أنه لم يكن هناك اختلاط.

التفريق بين الأولاد في المضاجع :

الآن التفريق بين الأولاد من منع الاختلاط :

((مَرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ
فِي الْمَضَاجِعِ))

[أبي داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده]

ينبغي أن تفرق بين الذكور والذكور، والإناث والإناث، من مدلولات هذا الحديث، التفريق ألا يكونوا في فراش واحد. أيها الأخوة الكرام: نجد أن هناك نصوصاً قرآنية ونبوية على منع الاختلاط وصلت إلى ثمانية وأربعين دليلاً، وسوف نتابع هذه الأدلة في خطبة قادمة إن شاء الله. أيها الأخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيخطى غيرنا إلينا، فلنخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأمانى، والحمد لله رب العالمين.

* * *

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صاحب الخلق العظيم، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

سبب احتفال الغرب بعيد الأم :

أيها الأخوة، لي صديق من الصناعيين في هذا البلد، اضطر إلى أن يسافر إلى ألمانيا لحضور معرض مهم جداً، قال لي: ليس هناك ولا غرفة واحدة في أي فندق، فاضطرت أن أسكن في غرفة في بيت حول المعرض، لفت نظري أن هناك حديقة في هذا البيت، لم تقع عيني في حياتي على أجمل منها، فلما سألت صاحبة البيت: ما سر العناية بهذه الحديقة؟ قالت لي: من أجل أن أغري أولادي أن يأتوني في العام كله يوماً واحداً، وصدف أن هذا الموعد كان وقت المعرض، فلم

يأت أحد من أولادها، فبكت حتى كادت تموت من البكاء، يقول لي هذا الصديق: من شدة عطفه اشترى هدايا، وقدمها لها نيابة عن أولادها، لا أدخل في التفاصيل في الجواز وعدم الجواز موضوع ثان.

لكن قبل يومين وجدت رسالة جاءتني و هي عبارة عن قصة مؤثرة جداً، هذه القصة ليست في بلادنا إنما في بلاد الغرب، مادام بلاد الغرب إذاً هناك أشياء غير منضبطة، لكن تبكي، هذه القصة تبين لماذا يحتفلون هناك بعيد الأم ؟ يقول رجل: بعد إحدى وعشرين سنة من زواجي وجدت بريقاً جديداً من الحب، هناك حب لا يعرفه، قبل فترة بدأت أخرج مع امرأة غير زوجتي، وكانت هذه فكرة زوجتي، حيث بادرتني بقولها: أعرف جيداً كم تحبها - أي لهذه المرأة التي هي غير زوجتي - المرأة التي أرادت زوجتي أن أخرج معها، وأقضي وقتاً كانت أمي، أمي التي تزلت منذ تسعة عشر عاماً، ولكن مشاغل العلم، وحياتي اليومية، والأطفال، والمسؤوليات، جعلتني لا أزورها أبداً، تسعة عشر عاماً يقاطع أمه، يبدو أن زوجته فيها أصالة قالت له: اخرج مع أمك زرها وخذها إلى مكان جميل.

أيها الأخوة، لما اتصل بها في وقت متأخر قالت له: هل أنت بخير، توقعت أن هناك مشكلة كبيرة، لأنه لا يتصل بها إطلاقاً، فطمأنها، وخرج معها إلى مطعم، وجرى حديث ممتع عادي جداً حتى ساعة متأخرة من الليل، وكانت أمه بسعادة لا توصف من شدة فرحها بهذه الإطالة، وهذه المبادرة التي كانت من ابنها، فالنتيجة عندما انتهى اللقاء، وأعادها إلى البيت قالت له: ما قولك يا بني أن أذهب معك مرة ثانية ولكن على حسابي، لأنني أعلمت جميع الجيران بهذا الطلب منك فلم يصدقوني.

أرأيتم لماذا يحتفلون بعيد الأم هناك ؟ الجيران لم يصدقوا، وقالوا لها: هو طلب منك أن يأخذك إلى المطعم ؟ فمن شدة فرحها طلبت منه أن تذهب معه مرة ثانية، ولكن على حسابها، قال: وبعد أيام ماتت بأزمة قلبية، ولم يستطع أن يقدم لها أية خدمة، لكن بعد وقت آخر تأتيه رسالة من المطعم تقول: لك مقعدان في اليوم الفلاني أنت وزوجتك، وقد دفعت أمك الحساب، فبكي، قال: هناك حب لا نعرفه، تكون باراً لوالديك، تكون باراً بأمك التي أنجبتك، لأمك التي ترحو أن تلتفت إليها، أن تسألها، أن تتصل بها، والله أعرف شباباً في هذا البلد والله يزور والدته يومياً، يقدم لها ما تشتهي أي طلب عنده مقدس.

البر بالوالدين و الوفاء لهما من أعظم مصادر الحب :

أقول لكم هذه الكلمة: القصة طويلة، أنا ذكرت ملامح منها، وجد رسالة من المطعم أنت لك طاولة في اليوم الفلاني محجوزة لك ولزوجتك من قبل أمك، لكثرة ما فرحت، تسعة عشر عاماً لم يتصل بها، فلما اتصل بها ودعاها إلى هذه السهرة ما صدقت، أعلمت كل من حولها ما صدقوها، تمننت

عليه أن تأخذه مرة ثانية، فلما شعرت أنها على وشك الموت أرادت أن تكرمه بدعوته مع زوجته إلى هذا المطعم ودفعت الفاتورة.

أيها الأخوة الكرام، هناك مصادر للحب لا نعلمها، أن تكون باراً بوالديك، أن تكون وفياً لمن كان وفياً لك، لذلك مرة سأل أحد الصحابة النبي الكريم: أنه يحمل والدته دائماً لأنها مشلولة، يحملها لكل حاجاتها، هل أدبت ما علي؟ قال: لا، لأنك وأنت تحملها تتمنى موتها، أما حينما كانت تحملك تتمنى حياتك.

قلب الأم و الأب من آيات الله الدالة على عظمتهم :

أنا أقول لكم أيها الأخوة الكرام، من آيات الله الدالة على عظمتهم قلب الأم والأب، والدليل

(لَمَّا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣))

(سورة البلد)

جعل الله نظام الأبوة والأمومة دالاً عليه، الأب قد يكون غنياً، وقوياً، ولا يحتاج إلى ابنه إطلاقاً، لكن كل سعادته أن يكون ابنه كما يتمنى، الأب وحده ولا أحد في الأرض غير الأب والأم يتمنيان أن يكون ابنهما أفضل منهما، الأب فقط.

لذلك أيها الأخوة، باب كبير من أبواب السعادة أن تكون باراً بأمك وأبيك، الذي عنده أم وأب على قيد الحياة لا ينسى هذه الفرصة الذهبية، والله أنا عندي استنباط لا أعرف مدى صحته لكن ما رأيت ولداً باراً بوالديه إلا فتح الله عليه الدنيا فتحاً غير طبيعي، كيفما تحرك هناك رزق، رزق وفير، لأن هذا كان وفياً لمن كان سبب وجوده.

من كرم الله عز وجل أنه رفع بر الوالدين إلى مستوى عبادته :



الله عز وجل كريم، لذلك الله عز وجل رفع بر الوالدين إلى مستوى عبادته قال تعالى:

(وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)

(سورة الإسراء الآية: ٢٣)

لعل الله عز وجل يرحمنا جميعاً ببر والدينا.

لكن مر معي بالأثر نص دقيق جداً، هذا

الأثر حينما ماتت الأم ورد أن الله عز وجل يقول: يا عبدي ماتت التي كنا نكرمك لأجلها، أي جزء

كبير من العلاجات الإلهية تتوقف في حياة الأم، لأن الله إذا عالج هذا العبد الأم تتألم، يا عبدي ماتت التي كنا نكرمك لأجلها فاعمل صالحاً نكرمك لأجلك.

بعد وفاة الأم هناك مشكلة كبيرة، لم يعد هناك شفيع، فكان حب الأم لك يشفع لك عند الله، الآن لا يوجد شفيع، الآن هناك علاج، لذلك ما سمح الله لنبي كريم أن يرى ابنه الكافر وهو يغرق، قال تعالى:

(وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣))

(سورة هود)

توجيه النبي الكريم للابن بأن يصل أمه و أباه و لو كانا مشركين :

أحياناً شاب متشدد ما عرف الإسلام على حقيقته، يتفنن في إيذاء أمه التي لم تلتزم بعد بقواعد الدين، أقول لهذا الشاب: صحابية جلييلة سألت النبي عليه الصلاة والسلام عن أمها قالت: أصلها وهي مشركة؟ قال: صليها.

أنت لا علاقة لك بوضع والدتك ووالدك، لا بد من بر الوالدين، ولعل برك لهما سبب هدايتهما، أبي غير ملتزم، أمي غير ملتزمة، لن أسلم عليهم، لا، معك توجيه من النبي عليه الصلاة والسلام أن تصل أمك وأباك ولو كانا مشركين.

أيها الأخوة الكرام، نحن في أشد الحاجة إلى حب من نوع خاص، حب الابن لأمه لأبيه، هذه العلاقة المقدسة بين أقدس إنسانين على وجه الأرض، لذلك:

(قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ (٢٤))

(سورة التوبة)

بدأ بالأب لأنه موطن الاعتزاز الاجتماعي.

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق، ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، ولك الحمد على ما قضيت، نستغفرك و نتوب إليك، اللهم اهدنا لصالح الأعمال لا يهدي لصالحها إلا أنت، اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عن سواك، اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام، وأعز المسلمين، انصر

المسلمين في كل مكان، وفي شتى بقاع الأرض يا رب العالمين، اللهم أرنا قدرتك بأعدائك يا أكرم الأكرمين.

والحمد لله رب العالمين